

# آثار السلف في لزوم السنة واتباع خيار هذه الأمة

## وفيه(أسباب التفرق وعلاجها)

عمرو بلغول

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) آل عمران: ١٠٢ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) النساء: ١ (ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) الأحزاب: ٧٠ فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي

محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار[1]

أما بعد:

قد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز ونبيه صلى الله عليه وسلم في سنته الصحيحة المطهرة عدد لا يعد ولا يحص في اتباع الحق المبين ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فيا عجبا لقوم تأتيهم الهدى فيهملونها ويستبدلونها بالذي هو أدنى منه (..... هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا) النساء: ٧٨ إنها والله خيبة عظيمة، فإن الفتنة مثل الطوفان، لا ينج منها إلا المتمسك بالسنة، فهي حبل النجاة لمن غرق في بحر الفتن، فالسنة أينما وقعت نفعت، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

أولا: اتباع السنة

عن أبي هريرة أنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس خير؟ فقال: " أنا والذين معي، ثم الذين على الأثر، ثم الذين على الأثر " [2]

ولهذا قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع ولن نضل ما تمسكنا بالأثر " [3]

وقال: "إياكم والتبدع والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيق"

[1] أبو داود ، **سنن أبي داود** عن ابن مسعود ، ط1، ( 3/456) ( 2118 ) كتاب النكاح، باب فِي خُطْبَةِ، وأخرجه أيضا النسائي، **السنن الصغرى**، عن ابن مسعود، دط، (6/89) (3277) كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح.

[2] أحمد، المسند، ط1(8464) (323/8) ، وسنده حسن، أنظر، الألباني، (455/4) السلسلة الصحيحة .

[3] رواه اللالكائي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** ، دط ، (1/ 96) .

**وقال: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة " وقال: "إنها ستكون أمور مشتبهات فعليكم بالتؤدة، فإنك أن تكون تابعا في الخير خير من أن تكون رأسا في الشر"**

**وقال: "إنكم اليوم على الفطرة، وستحدثون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثا فعليكم بالهدى الأول"**

**وقال: "عليكم بالطريق فلئن لزمتموه لقد سبقتم سبقا بعيدا، ولئن خالفتموه يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا" [4]**

**وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: "أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره وإتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وترك ما أحدث المحدثون بعده فيما جرت به سنته وكفوا مؤنته، واعلم أنه لم يبتدع إنسان بدعة إلا قدم قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها، فعليك بلزوم السنة، فإنها لك بإذن الله عصمة، واعلم أن من سن السنن قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والتعمق والحمق، فإن السابقين عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وكانوا هم أقوى على البحث ولم يبحثوا "[5]**

**وقال بن سيرين: "كانوا يقولون: إذا كان الرجل على الأثر فهو على الطريق " [6]**

**وقال الأوزاعي رحمه الله: " ندور مع السنة حيث دارت"[7]**

[4] الآثار الخمسة عن ابن مسعود رضي الله عنه، ابنُ بطة، **الإنابة الكبرى**، (321/1، 324، 328، 330، 332).

[5] ابن بطة، **الإبانة** ، دط ، (1/ 321) .

[6] نفس المرجع رواه ابن بطة في **الإبانة**، دط ، (1/ 356).

[7] اللالكائي، **شرح الاعتقاد**، دط ، (1/ 71) وانظر بتصرف بسيط ابن تيمية، **الآثار المذكورة قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاة الأمور**، دط ، (17/1) .

وهنا يقودنا إلى حب السنة، وهو الفرق الواضح بين السلف والخلف، فالخَلْف بسكون اللام الذي يخلف سلفه بالشر، والخَلَف: بفتح اللام الذي يخلفه بالخير،

يقال: جعلك الله خير خَلَفٍ لخير سلف،

وقال لبيد: ذهب الذين يُعاش في أكنافهم...وبقيتُ في خَلْف كجلد الأجرب[8]

فالسلف يحبون السنة من أجل أنها سنة والخلف يتركون السنة من أجل أنها سنة زهدا وتهاونا، السلف عندما يذكر لهم الدليل وكأن على رؤوسهم الطير من الوقار والخشوع ومن استحضار هيبة هذا الموقف وإعظاما لهم وهيبة منهم لمجالس الحديث، فبحب الصالحين ومجالستهم يكونون منهم قال الله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ قال ابن عباس: "وشملت كلبهم بركتهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال، وهذا فائدة صحبة الأخيار؛ فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن"[9] لأنه حكم الله وفضله، ولا معقب لحكمه.

وقال أبو العالية الرياحي: "تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم، فإن الصراط المستقيم الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط المستقيم يمينا وشمالا، وعليكم بسنة نبيكم، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين أهلها العداوة والبغضاء" [10]

وقال الإمام الآجري: "لم يختلف العلماء قديما وحديثا أن الخوارج قوم سوء عصاة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وإن صلوا وصاموا، واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، نعم، ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن

[8] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ط3،(395/15).

[9] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط3، (144/5) .

[10] ابن بطة ، **الإبانة** ، دط ، (338/1) .

المنكر، وليس ذلك بنافع لهم؛ لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين، وقد حذرنا الله تعالى منهم، وحذرنا النبي صلى الله عليه وسلم، وحذرنا منهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذرنا منهم الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان، والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديما وحديثا، ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين" [11]

قال ابن تيمية: " فكلما كان الرجل إلى السلف والأئمة أقرب كان قوله أعلى وأفضل"[12]

وهنا يظهر لنا جليا أن القصة مع الخوارج مختلفة عند السلف، لا كما يزعم بعض الزاعمين من المفتونين المخالفين خلافاً لمن سبق ذكرهم من العلماء والحفاظ، بعدم الرد عليهم والله المستعان.

ثانيا: عقيدة أهل السنة والجماعة في تقرير أصل الخروج على ولاة الأمور:

وفي هذا المبحث، سأورد قول أهل السنة واعتقادهم في الخروج، من خلال ما دونه بعض أئمة أهل السنة في أوقات وأزمان مختلفة متفاوتة، ومع ذلك فقولهم واحد لا تضارب فيه ولا اختلاف، لأنه ينبع من أصول ثابتة ينهل منها الجميع في كل عصر ومصر، كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإجماع سلف الأمة وسيظهر من خلال أقوالهم مدى توسطهم واعتدالهم واقتصادهم في ذلك، كما سأشير إلى مظاهر ذلك في آخر المبحث بإذن الله فالخروج على ولاة الأمور وعلى من انعقدت له بيعة هو مذهب طوائف من المنتسبين إلى القبلة، منهم الخوارج والمعتزلة، وبعض شواذ قليلين

(11) الآجري، **الشريعة**، دط ، (326/1) .

(12) ابن تيمية، **التدمرية**، ط6، (192)

من التابعين وتبع التابعين، وبعض الفقهاء المتأخرين ممن تأثروا بمذهب المعتزلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي عليه الصحابة جميعا وعامة التابعين وهكذا أئمة الإسلام من أن الخروج على ولي الأمر محرم وكبيرة من الكبائر، ومن خرج على ولي الأمر فليس من الله في شيء والأدلة على هذا الأصل من الكتاب والسنة متعددة، احتج بها الأئمة ورأوا أن من خالفها ممن تأول من السلف أنهم خالفوا فيه الدليل الواضح البين المتواتر تواترا معنويا، كما سيأتي إن شاء الله، فحي هلا بعمر كان اسلامه نصرا، قال إمام أحمد بن حنبل رحمه الله:

"أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين. والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هي الإتباع وترك الهوى، ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها فذكر أمورا ثم قال: والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة، البر والفاجر لا يترك، وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماض ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم، ودفع الصدقات إليهم جائزة ونافذة، من دفعها إليهم أجزأت عنه برا كان أو فاجرا وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولى جائزة تامة ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنة ليس له من فضل الجمعة شيء، إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برهم وفاجرهم، فالسنة أن تصلي معهم ركعتين من أعادهما فهو مبتدع، وتدين بأنها تامة ولا يكن في صدرك من ذلك شك ومن

خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية. ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطري"[13]

وقال الإمام أبو إسماعيل الصابوني: "ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم برا كان أو فاجرا، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح وبسط العدل في الرعية، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف، وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل"[14]

وقال الإمام البربهاري رحمه الله: "واعلم أن جور السلطان لا ينقص فريضة من فرائض الله التي افترضها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، جوره على نفسه، وتطوعك وبرك معه تام إن شاء الله تعالى "[15]

وقال البخاري: "لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر وذكر جماعة منهم ثم قال: ما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء فذكر أمورا منها: وأن لا ننازع الأمر أهله لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مسلم: إخلاص العمل لله، وطاعة ولاة الأمر، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم

[13] اللالكائي **شرح الاعتقاد** ، دط ، (160،161/1) .

[14] الصابوني، **عقيدة السلف أصحاب الحديث** ، دط ، ( 92، 93) و ابن تيمية، **الآثار المذكورة قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاة الأمور** ، دط ، (17/1) .

[15] ابن أبي يعلى، **طبقات الحنابلة**، دط ، (36/2) .

تحيط من ورائهم" ثم أكد في قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ....) النساء: ٥٩، وأن لا يرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقال الفضيل: لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام، لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد، قال ابن المبارك: يا معلم الخير من يجزي على هذا غيرك"[16]

وقال ابن أبي حاتم الرازي: "سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك؟ فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويمنا فكان من مذهبهم ... فذكرا أمورا منها: ... ونقيم الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان، ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا، ولا ننزع يدا من طاعة، ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة، فإن الجهاد ماض مذ بعث الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة مع ولي الأمر من أئمة المسلمين لا يبطله شيء، والحج كذلك، ودفع الصدقات من السوائم إلى أولي الأمر من أئمة المسلمين ... "[17].

وقال سهل التستري وقد قيل له: متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة؟ قال: "إذا علم من نفسه عشر خصال لا يترك الجماعة، ولا يسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف، ولا يكذب بالقدر ولا يشك في الإيمان، ولا يماري في الدين، ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل

[16] اللالكائي **شرح الاعتقاد**، دط، (1/172-176).

[17] اللالكائي **شرح الاعتقاد**، دط، (1/ 176-180).

**القبلة بالذنب، ولا يترك المسح عل الخفين، ولا يترك الجماعة خلف كل وال جار أو عدل "[18]**

**وأما ما يتعلق باعتقاد أهل السنة والجماعة في طاعة السلطان فهي واجبة، بل هي من أوكد السنن وقد جاء بها الكتاب والسنة، بل هو إجماع الأئمة، ولا يخرجون عليه بالسيف ولا باللسان، وهذا نص في محل الخلاف فلا ينبغي العدول عنه والله أعلم.**

**قال الطحاوي: "ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا من وجب عليه السيف ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعوا عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة "[19]**

**وابْنَ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» [20]**

**وَفِي رِوَايَة: «فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَة الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِه».[21]**

[18] نفس المرجع **شرح الاعتقاد** ، دط ، (1/ 183) .

[19] الطحاوي، **العقيدة الطحاوية** ، دط ، (68/1) .

[20] البخاري، **صحيح البخاري** (7054)(47/9) كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:«سترون بعدي أمورا تنكرونها.

[21] الترمذي، **سنن الترمذي** ، دط ، (2863)(148/5) أبواب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة وقال «حسن صحيح غريب» وقال الألباني، صحيح انظر التبريزي، **مشكاة المصابيح**، دط ، (1091/2) .

"فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية فتأمل قوله تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ......) النساء: ٥٩ كيف قال وألي الأمر منكم ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؟ لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله. وأعاد الفعل مع الرسول للدلالة على أن من أطاع الرسول فقد أطاع الله، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله. وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم بل في الصبر على جورهم تكفير"[22]

وقال ابن حزم: "اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا لا يلزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يشاطوا الحق بينهم وهذه فرقة ما نرى بقي منهم أحد وهم المنسوبون إلى نجدة بن عمير الحنفي القائم باليمامة "[23]

"وقول هذه الفرقة ساقط يكفي من الرد عليه وإبطاله إجماع كل من ذكرنا على بطلانه والقرآن والسنة قد ورد بإيجاب الإمام من ذلك قول الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ.........) النساء: ٥٩ مع أحاديث كثيرة صحاح في طاعة الأئمة وإيجاب الإمامة وأيضا فإن الله عز وجل يقول (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ........) البقرة: ٢٨٦ فوجب اليقين

[22] ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، دط ، (373/1) .

[23] ابن حزم **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، دط ، (72/4) .

بأن الله تعالى لا يكلف الناس ما ليس في بنيتهم واحتمالهم وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته أن قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الأحكام عليهم في الأموال والجنايات والدماء والنكاح والطلاق وسائر الأحكام كلها ومنع الظالم وإنصاف المظلوم وأخ القصاص على تباعد أقطارهم وشواغلهم واختلاف آرائهم وامتناع من تحرى في كل ذلك ممتنع غير ممكن إذ قد يريد واحد أو جماعة أن يحكم عليهم إنسان ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم إما لأنها ترى في اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء وإما خلافا مجردا عليهم وهذا الذي لا بد منه ضرورة وهذا مشاهد في البلاد التي لا رئيس لها فإنه لا يقام هناك حكم حق ولا حد حتى قد ذهب الدين في أكثرها فلا تصح إقامة الدين إلا بالإسناد إلى واحد أو إلى أكثر من واحد فإذ لا بد من أحد هذين الوجهين فإن الاثنين فصاعدا بينهما ما ذكرنا فلا يتم أمر البتة فلم يبق وجه تتم به الأمور إلا لإسناد إلى واحد فاضل عالم حسن السياسة قوي على الإنفاذ إلا أنه وإن كان بخلاف ما ذكرنا فالظلم والإهمال معه أقل منه مع الاثنين فصاعدا وإذ ذلك كذلك ففرض لازم لكل الناس أن يكفوا من الظلم ما أمكنهم إن قدروا على كف كله لزمهم ذلك وإلا فكف ما قدروا على كفه منه ولو قضية واحدة لا يجوز غير ذلك ثم اتفق من ذكرنا ممن يرى فرض الإمامة على أنه لا يجوز كون إمامين في وقت واحد في العالم ولا يجوز إلا إمام واحد إلا محمد بن كرام السجستاني وأبا الصباح السمرقندي وأصحابهما فإنهم أجازوا كون إمامين في وقت وأكثر في وقت واحد واحتج هؤلاء بقول الأنصار ومن قال منهم يوم السقيفة للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير واحتجوا أيضا بأمر علي والحسن مع معاوية رضي الله عنهم .وكل هذا لا حجة لهم فيه لأن قول الأنصار رضي الله عنهم ما ذكرنا لم يكن صوابا بل كان خطأ إذ اداهم إليها الاجتهاد وخالفهم فيه المهاجرون ولا بد إذ اختلف القائلان على قولين متنافيين من أن يكون أحدهما حقا والآخر خطأ وإذ ذلك كذلك فواجب رد ما تنازعوا فيه إلى ما افترض الله عز وجل الرد إليه عند

التنازع إذ يقول الله تعالى (..... فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) ۞ النساء ٥٩ فنظرنا في ذلك فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : "إذا بُويِعَ لإمامين فَاقْتُلُوا الآخر مِنْهُمَا" وقال تعالى (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا) ۞ آل عمران١٠٥ وقال تعالى (....وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ....) ۞ الأنفال ٤٦ فحرم الله عز وجل التفرق والتنازع وإذا كان إمامان فقد حصل التفرق المحرم فوجد التنازع ووقعت المعصية لله تعالى وقلنا ما لا يحل لنا وأما من طريق النظر والمصلحة فلو جاز أن يكون في العالم إمامان لجاز أن يكون فيه ثلاثة وأربعة وأكثر فإن منع من ذلك مانع كان متحكما بلا برهان ومدعيا بلا دليل وهذا الباطل الذي لا يعجز عنه أحد وإن جاز ذلك زاد الأمر حتى يكون في العالم إمام أو في كل مدينة إمام أو في كل قرية إمام أو يكون كل أحد وخليفة في منزله وهذا هو الفساد المحض وهلاك الدين والدنيا فصح أن قول الأنصار رضي الله عنهم وهلة وخطار رجعوا عنه إلى الحق وعصمهم الله تعالى من التمادي عليه وأما أمر علي والحسن ومعاوية فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أنذر بخارجة تخرج من طائفتين من أمة يقتلها أولي الطائفتين بالحق فكان قاتل تلك الطائفة علي رضي الله عنهم فهو صاحب الحق بلا شك وكذلك أنذر عليه السلام بأن عمارا تقتله الفئة الباغية فصح أن عليا هو صاحب الحق وكان علي السابق إلى الإمامة فصح بعد أن صاحبها وأن من نازعه فيها فمخطئ فمعاوية رحمه الله مخطئ مأجور مرة لأنه مجتهد ولا حجة في خطأ المخطئ فبطل قول هذه الطائفة وأيضا فإن قول الأنصار رضي الله عنهم منا أمير ومنكم أمير يخرج على أنهم إنما أرادوا أن يلي وال منهم فإذا مات ولي من المهاجرين آخر وهكذا أبدالا على أن يكون إمامان في وقت وهذا هو الأظهر من كلامهم وأما علي ومعاوية رضي الله عنهما فما سلم قط أحدهما للآخر بل كل واحد منهما يزعم أنه المحق وكذلك كان الحسن رضي الله عنه إلى أن أسلم الأمر إلى معاوية فإذا

**هذا كذلك فقد صح الإجماع على بطلان قول ابن كرام وأبي الصباح وبطل أن يكون لهم تعلق في شيء أصلا**

**ثم اختلف القائلون بوجوب الإمامة على قريش فذهب أهل السنة وجميع أهل الشيعة وبعض المعتزلة وجمهور المرجئة إلى أن الإمامة لا تجوز إلا في قريش خاصة من كان من ولد فهر بن مالك وأنها لا تجوز فيمن كان أبوه من غير بني فهر بن مالك وإن كانت أمه من قريش ولا في حليف ولا في مولى وذهبت الخوارج كلها وجمهور المعتزلة وبعض المرجئة إلى أنها جائزة في كل من قام بالكتاب والسنة قرشيا كان أو عربيا أو ابن عبد وقال ضرار بن عمرو الغطفاني : إذا اجتمع حبشي وقرشي كلاهما قائم بالكتاب والسنة قالوا وجب أن يقدم الحبشي لأنه أسهل لخلعه إذا حاد عن الطريقة "[24] انتهى كلامه رحمه الله**

**ثالثا: الزهد عن العلم والعلماء: إن العلم بركة، فإذا وفق المسلم للعلم، بورك له في جميع أحواله، فإذا حلت البركة في شيء عجب العاقل من أمرها، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "عَجِبْتُ لِلْكِلَابِ وَالشَّاءِ: إِنَّ الشَّاءَ يُذْبَحُ مِنْهَا فِي السَّنَةِ كَذَا وَكَذَا، وَيُهْدَى كَذَا وَكَذَا، وَالشَّاءُ أَكْثَرُ مِنْهَا! وَالْكَلْبُ تَضَعُ الْكَلْبَةُ الْوَاحِدَةُ كذا وكذا"[25] ولهذا بوب عليه البخاري باب إن الغنم بركة.**

**وكذلك الأمر في العلم والعلماء، قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: "إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحْرِمَ عَبْدَهُ بَرَكَةَ الْعِلْمِ، أَلْقَى عَلَى لِسَانِهِ الْمَغَالِيطَ. فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ أَقَلَّ النَّاسِ عِلْمًا" وفسرها، وقال: هي شداد المسائل [26] وعن أبي هريرة عن رسول الله قَالَ:(يُوشِكُ أَنْ لَا تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يُقبَضَ العِلْمُ وتَظْهَرَ الفِتَنُ ويَكْثُرَ الكَذِبُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ**

[24] ابن حزم **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، دط ، (72/4) .

[25] البخاري، **الأدب المفرد**، ط1،(575)(296/1)، صحيح، الألباني،**صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، ط4، (216/1).

[26] ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، (247/1)

وَتَتَقَارَبَ الْأَسْوَاقُ ويكثُرَ الهَرْجُ) قِيلَ: وَمَا الهرج؟ قال:(القتل) [27] فإن بركة العلم إذا حلت واستقرت لا تزعزعها صوارف الأيام وتقلب الليالي، خاصة في هذا الزمن السريع التقلب والكثير التغير والإخلاص بركة العلم وسر التوفيق، فسلفنا الصالح هم علماءنا فلنكن لهم خير خلف، لا أن نفيد من تراثهم ونجحد فضلهم أو نتلمس معايبهم ومطاعنهم دون النظر إلى فضائلهم، عَنْ مِرْدَاسٍ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم يَقُولُ:(يُقْبَضُ الصَّالِحُونَ أَسْلَافًا ويَفْنَى الصَّالِحُونَ الأَوَّلَ فالأَوَّلَ حَتَّى لَا يَبْقى إِلَّا مِثْلُ حُثَالةِ التَّمْرِ والشَّعِيرِ لا يُبالِي اللهُ بهم)[28] فهذا هو سبب ذهاب بركة العلم ولن نرزق بركة العلم والدين إذا لم نعترف لهم بسابق الفضل والمنزلة وتسلم صدورنا لهم ونترحم عليهم ونسأل الله لهم المغفرة، وهذا هو شأن العارفين الشاكرين، وبالله التوفيق.

أهل السنة وسط في التعامل مع ولاة الأمور: فأهل السنة وسط بين الإفراط والتفريط.

1. يحرمون الخروج على أئمة المسلمين ويوجبون طاعتهم والسمع لهم
2. ولا يطيعونهم في معصية الله ولا يعتقدون فيهم العصمة ويدعون لهم بالتوفيق والسداد

أولا: لأن الله أمر بطاعتهم فقال عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) النساء:٥٩

(27) الألباني، **التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان**، (392/9) وقال صحيح.

(28) الألباني، **التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان**، (471/9) وقال صحيح.

وعنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ» [29]وعن حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ» [30]

قال البربهاري: "إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله) وساق بسنده عن الفضيل بن عياض أنه قال: (لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان) قيل له: (يا أبا علي فسر لنا هذا؟) قال: (إذا جعلتها في نفسي لم تعدني، وإذا جعلتها في السلطان صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد "[31]

ثانيا: لا يطاعون في معصية الله، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقَدُوهَا، فَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا، وَيَقُولُونَ: فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

[29] مسلم، **صحيح مسلم** (1839)(3/ 1469) كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية.

[30]مسلم، **صحيح مسلم**(1847)(3/ 1476)كتاب الامارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر.

[31] البربهاري، **شرح السنة** ، دط ، (113/1) .

**وَسَلَّمَ مِنَ النَّارِ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ « لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ »[32]وفي رواية «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»[33])[34]**

**وقد حث أهل السنة والجماعة على ذلك وقبلوها وعملوا بها وكأن على رؤوسهم الطير وبالله التوفيق.**

**مصير الخوارج الحتمية في كل زمان:**

**إن الدارس لفرقة الخوارج من أول ظهورها إلى يومك هذا يجد أن نهايتهم ومآلهم محسومة وأكيدة إما القتل أو الحبس أو النفي، صدق أو لا تصدق هذا هو الواقع ليس له من دافع وهو حكم الله فيهم القدري والشرعي؛ وهذا يشهد له الشرع كما في الأدلة الآتية ويشهد له أيضا التاريخ والواقع وكل هذا لا يحتاج إلى كثرة عناء أو ببرهنة أو تدليل فهو واضح وضوح الشمس في رابعة النهار وظاهر بلا مَين لكل منصف ذي عينين؛ ولا يجادل في حقائق هذا إلا أعمى البصيرة ممن أصمه هواه عن أن يراه فانظر ترى وليس لها من دون الله كاشفة، وعند الفتن تعرف الرجال والمعصوم من عصمه الله والله المستعان.**

[32] البخاري، **صحيح البخاري**(4340)(161/5)كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي، وعلقمة بن مجزز المدلجي

[33] مسلم، **صحيح مسلم** ، دط ، (1840) (1369/3) كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

[34] بتصرف القحطاني، **بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها في ضوء الكتاب والسُّنَّة**، دط ، (35/1) .

**قال الشعبي عن الخوارج: "فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، ودعوتهم مدحوضة، ورايتهم مهزومة، وأمرهم متشتت كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين"[35]**

**وقال حنبل ابن إسحاق بن حنبل وهو يذكر قصة الإمام أحمد مع الخوارج: "فمضى القوم فكان من أمرهم أنهم لم يحمدوا، ولم ينالوا ما أرادوا، اختفوا من السلطان وهربوا وأخذ بعضهم فحبس، ومات في الحبس"[36]**

**وقال ابن منبه: (ألا ترى يا ذا خولان إني قد أدركت صدر الإسلام فو الله ما كانت للخوارج جماعة قط إلا فرقها الله على شر حالاتهم وما أظهر أحد منهم قوله إلا ضرب الله عنقه وما اجتمعت الأمة على رجل قط من الخوارج ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض وقطعت السبل وقطع الحج عن بيت الله الحرام وإذن لعاد أمر الاسلام جاهلية حتى يعود الناس يستعينون برؤوس الجبال كما كانوا في الجاهلية وإذن لقام أكثر من عشرة أو عشرين رجلا ليس منهم رجل إلا وهو يدعو إلى نفسه بالخلافة ومع كل رجل منهم أكثر من عشرة آلاف يقاتل بعضهم بعضا ويشهد بعضهم على بعض بالكفر حتى يصبح الرجل المؤمن خائفا على نفسه ودينه ودمه وأهله وماله لا يدري أين يسلك أو مع من يكون غير أن الله بحكمه وعلمه ورحمته نظر لهذه الأمة فأحسن النظر لهم فجمعهم وألف بين قلوبهم على رجل واحد ليس من الخوارج فحقن الله به دماؤهم وستر به عوراتهم وعورات ذراريهم )[37]**

[35] ابن تيمية، **منهاج السنة النبوية**، دط ، (34/1) والخلال، **السنة**، دط ، (1/ 496 - 498) .

[36] حنبل ابن إسحاق، **ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل لحنبل بن إسحاق بن حنبل**، دط ، (70-72) وانظر ابن تيمية، **الآثار المذكورة قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاة الأمور**، دط ، (21/1) .

[37] البرجس، **مناصحة الإمام وهب بن منبه لرجل تأثر بمذهب الخوارج** ،ط1 ، (21/1) .

**وقال ابن حزم: (واعلموا رحمكم الله أن جميع فرق الضلالة لم يجر الله على أيديهم خيرا ولا فتح بهم من بلاد الكفر قوية ولا رفع للإسلام راية وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين ويفرقون كلمة المؤمنين ويسلون السيف على أهل الدين ويسعون في الأرض مفسدين أما الخوارج والشيعة فأمرهم في هذا أشهر من أن يتكلف ذكره)[38]**

**وإليه يشير الزركلي في ترجمة بن أبي صفرة عندما انتدب لقتال الأزارقة فلقي منهم الأهوال فقال:( وأخيرا تم له الظفر بهم فقتل كثيرين وشرد بقيتهم في البلاد)[39] وقصة مهلك عبد الرحمن بن الأشعث الكندي فيها عبرة لكل خارجي وذلك لما لجأ بن الأشعث إلى رتبيل ملك الترك الذي آواه ثم سلمه للحجاج كما يفعله الخوارج اليوم بتركهم سكنة ديار المسلمين واللجوء إلى الكفار وديارهم، نسأل الله الثبات وهذا جزء من التاريخ وقد يطول شرحه وقد ذكرنا بعضه حتى تتضح الرؤية.**

**قال ابن كثير: "والمشهور عن ابن الأشعث أنه قبض عليه وعلى ثلاثين من أقربائه فقيدهم في الأصفاد وبعث بهم مع رسل الحجاج إليه، فلما كانوا ببعض الطريق بمكان يقال له الرجح، صعد ابن الأشعث وهو مقيد بالحديد إلى سطح قصر ومعه رجل موكل به لئلا يفر وألقى نفسه من ذلك القصر وسقط معه الموكل به فماتا جميعا " [40] هذه هي سوء الخاتمة والعياذ بالله ولو بدى للناس أنه عابد من أهل الصلاح، فعن سهل بن سعد قال النبي صلى الله عليه وسلم:**

[38] ابن حزم **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ،د ط ، (171/4) .

[39] الزركلي، **الأعلام**، د ط ، (315/7).

[40] ابن كثير، **البداية والنهاية** ، دط ، (65/9) .

**«إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ»[41]**

**قال ابن رجب: "وأن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس "[42]**

**وهذا من شأم البدعة فإنها تجر بصاحبها إلى النار إلا أن يتغمده الله برحمته، روى البيهقى بسند صحيح عن سعيد بن المسيب: أنه راى رجلاً يصلى بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيها الركوع والسجود، فنهاه، فقال: يا أبا محمد! يعذبنى الله على الصلاة؟! قال: "لا، ولكن يعذبك على خلاف السنة" [43]**

**قال الألباني: "وهذا من بدائع أجوبة بن المسيب وهو سلاح قوى على المبتدعة "[44]**

**وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم في نهاية أمرهم، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ» وقَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قطِعَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ» " [45] لأنه طفح الكيل في حقهم فكانت عليهم حربا حامية الوطيس لم**

[41] البخاري، **صحيح البخاري** ، دط ، (6607) (124/8) كتاب القدر، اب: العمل بالخواتيم.

[42] ابن رجب، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم** ، دط ، (172/1) .

[43] البيهقي، **سنن الكبرى للبيهقي**، ط3 ، (4131)(654/2) .

[44] الألباني، **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** ، ط2 ، (236/2) .

[45] ابن ماجة، **سنن ابن ماجه**، د ط ، (174) (1/ 74) وقال الألباني حسن ،انظر الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** ، دط ، (582/5) .

**يخمد لظاها وما أخبى سعيرها فلزم تكرار التحذير منهم حتى لا تقع الأمة في الندم حيث لا ينفع يومئذ الندم.**

**قال المجددي: " كلما خرج قرن قطع أي أهلك ودمر ولفظ عشرين مرة يحتمل أن يكون مقولة بن عمر فيكون سماع بن عمر هذا الكلام منه صلى الله عليه وسلم أكثر من عشرين مرة ويحتمل أن يكون من مقولة النبي صلى الله عليه وسلم فالمراد منه والله أعلم أن أهل الحق يقاتلونهم ويقطعون دابرهم أكثر من عشرين مرة في كل قرن ومع ذلك يبقى منهم فرقة حتى يخرج في عراضهم ومواجهتهم الدجال الحاصل أن أهل الأهواء وأن قاتلهم أهل الحق في قرن واحد أكثر من عشرين مرة لا يتركون أهواءهم "[46]**

**وقال السندي: " قوله (كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ) أي ظهرت طائفة منهم (قُطِعَ) استحق أن يقطع وكثيرا ما يقطع أيضا كالحرورية قطعهم علي رضي الله عنه " [47] يعني هذا حكما بالموت.**

**قال ابن الهمام: "ولعمري لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع ولكنه كان ضلالة فتفرق وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافا كثيرا فقد أَلَاصُوا هذا الأمر منذ زمان طويل فهل أفلحوا فيه يوما قط أو أنجحوا؟ يا سبحان الله كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأولهم؟ إنهم لو كانوا على حق أو هدى قد أظهره الله وأفلجه ونصره ولكنهم كانوا على باطل فأكذبه الله تعالى وأدحضه فهم كما رأيتم كلما خرج منهم قرن أدحض الله حجتهم وأكذب أحدوثتهم وأهراق دماءهم , وإن كتموه كان قرحا في قلوبهم وغما عليهم وإن أظهروه أهراق الله دماءهم ذاكم والله دين سوء فاجتنبوه وإن الحرورية لبدعة**

[46] السيوطي والمجددي والكنكوهي، **شرح سنن ابن ماجه** ، دط ، (16/1) .

[47] السندي، **كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه** ، دط ، (74/1) .

**وإن السبئية لبدعة ما نزل بهن كتاب ولا سنهن نبي" [48] فماذا بعد الحق إلا الضلال، "وغاية هؤلاء إما أن يغلبوا وإما أن يغلبوا، ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة ... فلا أقاموا دينا ولا أبقوا دنيا." [49] فشواهد التاريخ ناطقة، وتلك الأيام نداولها بين الناس والله المستعان.**

**وفي الختام أعود وأكرر، وبه أختم، وهو مسك الختام إن شاء الله، فالرد على المخالف ليس حبا في تتبع العثرات ولا تلذذا بالسوءات ولا تفكها بالعورات ولا تباهيا بالخصام ولا تفاخرا عند النزال ولا تحديا عند النقاش ولا ابتغاء في الجدال، ولا نصرة للباطل ولا خذلانا للقائمين في وجه العدو الصائل، فقد كثر الجدال وعم النزال بطرق الغش ومكامن الاحتيال، في كيفية الاستدلال أهل التعمق في الجدال، والخوض في الكلام والوقوع في الفتن وتعاطى القتال، وإنما هو من باب النصح وإظهارا للحق ورحمة بأهل البدع وشفقة عليهم للرجوع إلى الحق، لأن المسلم مرآة أخيه، قال عمر رضي الله عنه: " إذا رأيتم أخا لكم زل زلة فسددوه، ووفقوه، وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا عونا للشيطان عليه"[50]حتى تضع الحرب والفتن والاختلاف أوزارها، قال الذهبي: "ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفورا له قمنا عليه وبدعناه وهجرناه لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن مندة ولا من هو أكبر منهما والله هو هادي الخلق إلى الحق وهو أرحم الراحمين فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة"[51]وهنا معنى لطيف في الدعوة لمن تأمله وهودي إليه في أحسن حال وأفضل مآل، ويقول ابن تيمية: (ويعلم العليم أنهم من وجه مستحقون ما**

[48] الصنعاني، **تفسير عبد الرَّزَّاق** ، دط ، (382/1) .

[49] ابن تيمية، **منهاج السنة** ، دط ، (528/4).

[50] أبو نعيم، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دط ، (97/4) .

[51] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، دط ، (27/11)

**قاله الشافعي حيث قال: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام » ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم ورفقت عليهم أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء، وأعطوا فهوما وما أعطوا علوما وأعطوا سمعا وأبصارا وأفئدة (فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) ۖالأحقاف: ٢٦ ومن كان عليما بهذه الأمور: تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم، حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه، وذموا أهله وعابوهم وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزدد إلا بعدا)[52] فأهل السنة والجماعة أرحم وألطف بأهل البدع من أنفسهم، فالمؤمن الصادق الناصح "يتوجع لعثرة أخيه المؤمن إذا عثر، حتى كأنه هو الذي عثر بها ولا يشمت به، فهو دليل على رقة قلبه وإنابته"[53] من باب يواري سوءة أخيه، "فيستغضب أخاه ويهتك ستره"[54]، لأن هناك نصحة وهناك غششة[55]، إن خيرا دفن، وإن شرا أذاع وأعلن، قال عمر رضي الله عنه: «أعقل الناس أعذرهم لهم»[56] وقال ابن المبارك: "المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات"[57]، لكن النصح واجب وإظهار الحق لازم والرد على المخالف آكد، فهي واجبة دينية وضرورة اجتماعية " فإن المؤمن للمؤمن**

[52] ابن تيمية، **الفتوى الحموية الكبرى**، دط ، (555/1)

[53] ابن القيم، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** ، دط ، (435/1)

[54] ابن رجب، **جامع العلوم والحكم** ، ط7 ، (225/1) .

[55] ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى** ، دط ، (150/6).

[56] ابن شبة، **تاريخ المدينة**، (771/2).

[57] الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (177/2).

**كاليدين تغسل إحداهما الأخرى "[58] فيكون نقد لا نقض وهو معنى الدين النصيحة، وهي من أفضل الأعمال عند الله، بل من الجهاد في سبيل الله، وأما "إذا كان مبتدعا يدعو إلى عقائد تخالف الكتاب والسنة أو يسلك طريقا يخالف الكتاب والسنة ويخاف أن يضل الرجل الناس بذلك بين أمره للناس ليتقوا ضلاله ويعلموا، وهذا كله يجب أن يكون على وجه النصح وابتغاء وجه الله تعالى لا لهوى الشخص، فيتكلم بمساوئه مظهرا للنصح وقصده في الباطن البغض في الشخص واستيفاؤه منه فهذا من عمل الشيطان"[59] فعسى أن تكون وجهتنا لجمع الكلمة خاصة في هذا اليوم الأيوم[60] وهذا هو هدفي من البحث، وهذا حل واحد، لا يعني أنه هو الحل الوحيد، بل هناك حلول أخرى، فكل في مجاله يدعو في حدود الشرع وبقدر طاقته، ويصبر على ما أصابه، إن ذلك من عزم الأمور، لكن إنما مع العسر يسران "فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزل شدة، يجعل الله له بعده فرجا، وإنه لن يغلب عسر يسرين" [61] والعسر لن يدوم والشدة لن تطول والصبر جميل والدعاء عبادة ولابد لليل أن ينجني والليل يتبعه فجر ولابد للقيد أن ينكسر" الدنيا كلها قليل، والذي بقي منها قليل، والذي لك من الباقي قليل، ولم يبق من قليلك إلا قليل، وقد أصبحت في دار العزاء، وغدا تصير إلى دار الجزاء، فاشتر نفسك، لعلك تنجو"[62] فقد يطول الألم ولكن سيأتي الأمل بإن الله تعالى، ويسؤلونك متى هو، قل عسى أن يكون قريبا، وعندها يفرح المؤمنون بنصر الله، حيث يومئذ**

(58) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى** ، دط ، (53/28) .

(59) بتصرف بسيط ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى** ، دط ، (477/4) .

(60) قصدي يَوْم أيوم طَوِيل شَدِيد. انظر إبراهيم، **المعجم الوسيط** ، دط ، (1067/2) .

(61) مالك، **الموطأ** ، ط1 ،( 1621)(633/3) كتبه أبو عبيدة بن الجراح، إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم.

(62) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ط3 ،(330/8).

ينفع الصادقين صدقهم في إصلاحهم ما استطاعوا إلى ذلك، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، قال تعالى: (.....إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) هود ٨٨، وصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما، وجزاه أفضل ما جزى نبيا عن أمته، فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه، وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا الله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، والحمد لله رب العالمين.